"كتـاب الأمير" لواسيني الأعرج
في ضـــوء التـــلـقي وأفـــق الانتظـــــار

إيمـــان صبّاغ
جـــامعة الجزائر2

الملخّص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى مقاربة جديدة لتحليل رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج في ضوء نظرية التلقي معتمدة في ذلك على بعض ما ثمّنته من مفاهيم إجرائية ولاسيما ما حدّده "هانس روبرت ياوس" لـ "أفق الانتظار" الكاشف عن سبب استمرارية هذه الرواية وحيويتها.

وكذا البحث عن العلل التي تُسهم في إعادة قراءة الرواية وفق القراءة التأويلية التي توسّع المعنى انطلاقا من تحديد أفق انتظار القراء.

ظهرت اتجاهات نقدية عديدة تكرست جهودها لبلوغ طموح يتمثّل في تجاوز ما وصلت إليه المدارس التقليدية التي بَدَت قاصرة في دراسة الظواهر الأدبية؛ أين يُعد تركيز الاهتمام في دراساتها الأدبية على النص من ناحية، ومؤلف النص من ناحية أخرى. وبظهور هذه الاتجاهات الجديدة بدأ الاهتمام ينصرف في السنين الأخيرة إلى المتلقي.

ومن هنا أصبح من اللاّزم دراسة الآثار الأدبية في علاقتها بمتلقيها، باعتبار أن النص مفتوح على احتمالات متعددة ومتطوّرة بتطوّر درجات وعي المتلقي حاضراً ومستقبلاً، غير أنه يصعب أن نُفسّر ذلك السِّر الذي يجعل آثاراً أدبية تبقى وتستمّر حيّة في إثارة السواكن وتحريكها، دون آثار أدبية أخرى سرعان ما يأتي عليها النسيان.

ولما كانت رواية "كتاب الأمير" نموذجاً للإبداع الروائي، ومادة تُحرّض دائماً على القراءة والكشف بما تُتيحه من إمكانات التفكير والتأويل وبما تمتلكه من أهلية الانغراس في الزمن الإنساني، وهو الهدف الذي من أجله خضت تجربة التلقي في هذا النصّ الروائي.

وقد توخيت في هذه الدراسة مقاربة للرواية من خلال منظور التلقي وآلياته، وأهمها أفق الانتظار الذي هو العنصر الأبرز والركيزة المنهجية التي تعتمد عليها هذه الدراسة باعتبار أن ما يُمارسه النص الروائي من آليات التمويه والحجب قد يصدم المتلقي ويُفاجئه بعنصر غير متوقع، يكسر توقعاته في السّياق ويخلق مسافة من التوتر تضفي على النص قيّماً جمالية ودلاليّة، تستفّز وعي المتلقي وتُتيح له أن يقرأ فيه ما لا يقوله(وراء القصد في تيه).

* أ. هانس روبرت ياوس: التلقي والمفاهيم الإجرائية

إن نظرية التلقي "ظهرت بسبب النزاع الطبيعي بين المناهج النقدية التي تُغذيه نظريات معرفية مختلفة، وقد كان النزاع مع التصوّر البنيوي أحد المنطلقات الرئيسية التي أسهمت في تعاظم دور جمالية التلقي"[1].

وقد شرح "هانس روبرت ياوس"* في مقالة له بعنوان"التغيير في نموذج الثقافة الأدبية" نشرها في سنة 1969، - بعدما لاحظ أن جلّ الدراسات ركزَّت على ثنائية (الكاتب/ النص) وأهملت ثنائية(النص/ القارئ)- العوامل التي أدَّت إلى ظهور نظرية التلقي في ألمانيا، وكان أهم ما جاء فيها مايلي[2]:

1. السخط العام تجاه قوانين الأدب ومناهجه التقليدية السائدة.
2. حالة الفوضى والاضطراب السائدة في نظريات الأدب.
3. وصول أزمة أدبية خلال فترة المد البنيوي إلى حد لا يمكن قبوله واستمراره.
4. ميول وتوجه عام في كتابات كثيرة نحو القارئ بوصفه العنصر المهمل في الثالوث الشهير (المبدع/ العمل/ المتلقي).

تأصلَّ هذا الاتجاه النقدي الذي سُميَّ بأسماء مختلفة منها:"اتجاه جمالية القراءة" أو "جمالية التلقي أو التقبل" أو "نظرية الاستقبال أو نقد استجابة القارئ" في جامعة كونستانس في ألمانيا

وسُميَّت نسبة إلى المدرسة التي يدرس فيها أهم ممثلي جمالية التلقي.وقد برز الألمانيان "هانس روبرت ياوس"(Hans Robert JAUSS) و"فولفغانغ إيزر" (Wolfgang ISER) بوصفهما منظري التلقي، وقد أرسى هذان الناقدان فيما بعد اتجاهين في نظرية القراءة.

وقبل أن أبحث عن المفاهيم النقدية الإجرائية لهذه النظرية من خلال أطروحات "هانس روبرت ياوس"ينبغي التعرّض إلى القضايا التي تناولتها جمالية التلقي المتعلّقة بالقراءة، القارئ وأخيرا التفاعل القرائي بينهما.

1. لـــــكن عن أي قراءة تتحدّث نظرية التلقي؟

إنّ القراءة هي شرط مسبق ضروري لجميع عمليات التأويل الأدبي، كما لاحظ ذلك من قبل "والترسلاتوفW.SLATOFF "في كتابه: بصدد القراء "يشعر المرء بأنه سيكون مُضحكاً قليلاً إذا كان عليه أن يبدأ بالإلحاح على أن الأعمال الأدبية توجد في جانب منها على الأقل لكي تكون مقروءة،وبأننا نقوم بالفعل بقراءتها،وأن من المفيد أن نفكر في ماذا يحدث عندما نفعل ذلك؟ ولنقل بصراحة؛ فمثل هذه التصريحات تبدو بديهية لدرجة أنه لم تكن هناك حاجة لذكرها. مع ذلك، فإنه ليس هناك أحد ينكر مباشرة بأن للقُراء والقراءة وجوداً فعلياً"[3].

بناءً على هذا فإنّ القراءة من منظور نظرية التلقي تتجاوز معايير وقيّم القراءات النموذجية السائدة، كما تسعى إلى تحرير النص وفك أسره من القراءات المقيّدة التي تطوق معانيه. وكل ذلك نابع من اعتقاد راسخ وهو أن "العمل الأدبي حتى في لحظة صدوره، لا يكون مولوداً من فراغ، فعن طريق مجموعة من الإعلانات والإشارات الظاهرة أو المستبطنة، ومن الإحالات الضمنية والخصائص المعتادة، يكون جمهوره مهيأ من قبل ليتلقاه بطريقة ما"[4].

2. **مكـــانة القـــــارئ:**

إن النقد الحديث وحتى المعاصر بكل مناهجه وإجراءاته النقدية المتنوعة، في الحقيقة لم يستطع أن يُفرز سوى شكلين مختلفين من أشكال القارئ، وحتى وإن تعددت واختلفت الاصطلاحات التي تُعيِّن هذا القارئ، وتعددت وتشابكت، فإنه لا يمكن تصنيفه إلاَّ ضمن شكلين هما: القارئ الواقعي والقارئ الافتراضي أو التخييلي أو النموذجي أو الضمني...الخ.

من هذا المنطلق سيتضمن القارئ مفهوماً نظرياً محضا؛ لا يرتبط بصلة مباشرة بالقارئ الحقيقي الفعلي "إن المؤلف يكتب وفي ذهنه قارئ ما، قارئ يعرفه المؤلف ويخاطبه ويتعامل معه، بل قد يحدث أن الكاتب لم يكتب النص إلاّ من أجل ذلك القارئ"[5].

وبالتالي فإن القارئ يحتل موضعاً أساسياً غير أن نقطة الخلاف الجوهرية تكمن في حدود دور القارئ والمهمات المنوطة به بينما يميِّز « "إيزر" بين نمطين من القرّاء وهما القارئ المثالي والقارئ المعاصر»[6]

3. **التـــــفاعل القـــــرائي بين القارئ والنصّ:**

يقوم التفاعل القرائي بين القارئ والنص على مستويين[7]:

1. مستوى التـــــلقي: وذلك من خلال تفاعل القارئ مع النص المقروء، حيث تمتلك الكتابة استراتجيات تبرز حين ننظر إلى النص الأدبي كبنية تتفاعل في داخل مجموعة من العناصر النصيّة، مع بنيات أخرى خارج نصيّة، باعتبار النص متوالية من العلاقات اللغوية التي تنتظر من القارئ ألاَّ يقف عند حدود تفكيكها، وإنما يتجاوز ذلك إلى تأويلها، باعتبار النص بنية مفتوحة للتلقي والتأويل، وباعتبار أن في سلسلة النص كثيراً من الفجوات التي ينبغي ملؤها من قبل القارئ.
2. مستوى إعادة إنتاج النص: وذلك بعد أن يتم القارئ اكتشاف بنيات النص، وتحليل علاماته وإشاراته، ثم تأويله حسب مخزونه الثقافي ووصله بالمعلومات الجديدة.

وهذا التفاعل بين القارئ والنص الأدبي يقوم على أساسين:

- أساس موضوعي: يتمثل في ما يمنحه النص من علامات ودوّال تكوِّن المقروء.
- أساس ذاتي: يتمثل في ما تمنحه الذات القارئة من فهم وإدراك لهذه العلاقات والدوال، وما تثيره هذه القراءة من ردود فعل جمالية تستمد من ذخيرة القارئ ومخزونه الثقافي.

أبرز المفاهيم الإجرائية لــ"هانس روبرت ياوس"

حاول " ياوس" صاحب مؤلف:"من أجل جمالية الاستقبال" رد الاعتبار للجمهور القارئ الذي أهمل كثيراً في الدراسات الأدبية، بحيث يؤكد أن ما يضمن استمرارية الأعمال الفنيَّة والأدبية هو استقبالها من طرف قُرَّاء وقراءتها من جديد في ضوء معطيات جديدة.

ولعلَّ أبرز المفاهيم الإجرائية النقدية التي يقدّمُها "ياوس"

1. أفــق الانتظــار":

يشكِّلُ "أفق الانتظار" مفهوماً إجرائيا جديداً بحيث يعتبر مدار نظرية "ياوس" الجديدة لأنَّه الأداة المنهاجية المثلى التي ستُمكنُ هذه النظرية من إعطاء رؤيتها الجديدة القائمة على فهم الظاهرة الأدبية في أبعادها الوظيفية والجمالية والتاريخية من خلال سيرورة تلقيها المستمّرة.

وقد تأثَّر "ياوس" كثيراً بفلاسفة التأويل ومنهم "هانس جورج جادامير" على الخصوص.وعنه أخذ فكرة "أفق" بعد أن أحدث فيه شيئاً من التعديل يتناسب ونظريته في التلقي.

أما استخدام مصطلح "الأفق" مركباً مع عبارة "الانتظار" فلم يكن هو الآخر جديداً كل الجِدَّة، وقد تبنى فيلسوف العلوم "كارل بوبير" وعالم الاجتماع "كارل مانهايم" هذا المصطلح قبل "ياوس" بزمن طويل[8]. ومن ثمَّ يقول "ياوس": لن نتمكن

من فهم ووصف التاريخ الأدبي في خصوصيته، إلاَّ إذا تمكنَّا من موضعة "أفق الانتظار" هذا"[9]

ليُحدِّد "أفق الانتظار" باعتباره « النظام المرجعي القابل للصياغة بموضوعية »[10]

وبعبارة أخرى هو مجمل التوقعَّات والتخمينات التي يتزوَّدُ بها القارئ عن النص قبل أن يشرع في ممارسة فعل القراءة. " فكل عمل يُذكّر القارئ بأعمال أخرى سبق له أن قرأها ويُكيِّف استجابته العاطفية له ويخلق منذ بدايته توقعاً ما لـِ "تتمة" الحكاية ووسطها ونهايتها.وهو توقع يمكن، كلّما تقدّمت القراءة، أن يمتّد أو يُعدّل أو يُوَّجه ووِجهةً أخرى"[11].

وتتألف الأنظمة المرجعية لأفق الانتظار بحسب "ياوس" بقوله:

" بالنسبة لكل عمل في اللحظة التاريخية التي يظهر فيها، من ثلاثة عوامل أساسية:

- التجربة السابقة التي اكتسبها الجمهور عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه هذا العمل.
- شكل وموضوعات أعمال سابقة يفترض أن الجمهور مطلّع عليها.
- التناقض بين اللغة الشعرية واللغة العملية، بين العالم الخيالي والواقع اليومي"[12].

ولكننا نتساءل عن الكيفية التي يتغيَّر بها أفق الانتظار؟ وكيف يتسنى لنا إعادة بنائه من جديد؟

إنَّ أبرز ما يتحكَّم في تغيير أفق الانتظار –هدماً وبناءً وتجديداً- الوضعية التأويلية التي يكون عليها المُستقبِل للنص، فإذا كان تلقيّ النص كما قُلنا لا يتأسَّسُ على فراغ فإنَّ كل تأويل للنص يكون مستنداً إلى وضعيَّة محدَّدة واهتمامات خاصَّة تطبعُ فكرة المُستقبل.

"إن استقبال نص من النصوص يفترض دائماً وعاء التجربة السابقة التي يقع في إطارها الإدراك الجمالي ولا يمكن طرح مسألة ذاتية التأويل، ومسألة ذوق مختلف

القراء طرحاً صحيحاً إلاَّ إذا قمنا أولا بإعادة تركيب أفق الانتظار لتجربة جمالية مسبقة مشتركة ويرتكز عليها كل فهم ذاتي للنص والتأثير الذي يُحدثه"[13].

وهذا يقودنا إلى الحديث عن مرتكز ثانٍ لنظرية التلقي عند "هانس روبرت ياوس" ألا وهو ما يُعرَفُ بالمسافة الجمالية "Distance esthétique".

فماذا يَعْني "ياوس" بالمسافة الجمالية"؟ ولماذا قام بربطها بمفهوم أفق الانتظار؟.

2. المسافـــة الجـماليـــة:

تعتبر أحد المصطلحات الإجرائية التي وظَّفها "ياوس" في نظريته؛ وسُميَّ تصادم أفق توقع القارئ مع أفق النص بالمسافة الجمالية. وهذا الإجراء حسب "ياوس" يفضي إلى نتيجتين:

- إما أن يحدث تطابق أفقي بين القارئ والنص، وهنا يؤدي إلى غياب أو تلاشي المسافة الجمالية، ويصبح التفاعل بين النص والقارئ مبتذلا. وغالباً ما تحدث في النصوص ذات الصفة الاجترارية، في لا تضيف لمعرفة القارئ شيئاً.
- وإما أن يحدث اللاتواصل بين أفق القارئ وأفق النص، فيُجبر القارئ على تغيير الأفق حتى يصل إلى أفق النص، وغالباً ما تحدث في النصوص ذات القيمة الفنية العالية.

3. انـدمـــــاج الآفـــــــاق:

أما مفهوم اندماج الآفاق الذي وصف به "ياوس" العلاقة القائمة بين الإنتظارات التاريخية الأولى للأعمال الأدبية والإنتظارات المعاصرة التي قد يحصل معها نوع من التجاوب، فالمحاولة لفهم الأعمال الأدبية مرهونة بمدى فهمنا لطبيعة آفاق الأسئلة النقدية التي يتم وضعها من قبل القراء في كل مرحلة تاريخية.

* ب."كتاب الأمير"لواسيني الأعرج بين التلقي وأفق الانتظار

إنّ الاهتمام بالقارئ الفعلي وبالتواصل الأدبي الحاصل بينه وبين النص في اللحظات التاريخية المتعاقبة سنجده لدى أحد منظري جمالية التلقي "هانس روبرت

ياوس" باعتبار أن كل القرّاء يعيشون في ظروف تاريخية واجتماعية. ولهذا فإن طريقة تأويلهم للأعمال الأدبية تتشكّل من خلال هذه الحقيقة.

لكن، لـــــماذا يختلف القراء في تأويل النص الواحد؟ ولماذا يعني نص واحد أشياء "مختلفة" لقرّاء مختلفين في أزمنة وأمكنة مختلفة؟.

من هذا التصوّر شرعت في دراسة الرواية بين التلقي وأفق الانتظار في النقد العربي المعاصر، منطلقة في ذلك من استنطاق التراكم القرائي الضخم الذي قدّمه النقاد العرب بدءًا من لحظة ظهور هذا العمل حتى اللحظة الراهنة. بحيث كان كل نمط من تلك الأنماط يقرأ الرواية انطلاقاً من أفقه الخاص، فيُعيد تصنيعها وإنتاجها في كلّ مرّة لصالح عالمه التاريخي، وأفقه الثقافي والاجتماعي المخصوص، وبكيفية تتناسب مع خصوصية هذا الأفق، وما تَوافر فيه من استراتيجيات وأدوات ومفاهيم أسهمت بقدر كبير في توجيه اختيارات القُرَّاء والتحكُّم في مَسار قراءاتهم ونتائجها.

وعلى هذا فإن البحث حين يتحدّث عن أنماط التلقي في صورتها التزامنية أو التعاقبية سنتتبع من خلالها علاقة جدلية بين أفق الانتظار (ما يتضمنه النص) وأفق التجربة (ما يفترضه المتلقي)، وتفتح حواراً بين الماضي والحاضر مُدرجة التفسير الجديد ضمن السلسلة التاريخية لتفعيلات المعنى.

1. تشكيل أفق الانتظار للرواية:

ولعلَّ أول قراءة لهذا المتن الروائي تُعدُّ قراءة شكلية، بحيث يُشكِّل المناص نقطة مركزية فيها، فبملاحظة التشكيلات الخارجية للنص، ستجعل منها عملية أولية تنطلق من تفكير منسق، لتفضي إلى اقتراح القارئ لتوقعاته حول قراءة النص في صيغة فرضيات[14]، ذلك أنَّ لكل نصٍّ مكتوب وظيفة إيقونية يجب أخذها في الاعتبار مثل: العناوين، المقدمات، الاهداءات، الصور..الخ.

فتساهم هذه العتبات في توجيه أفق تلقي القارئ وبدونها يحير ولا يعد قادراً على تلذذ النص إلاَّ إذا ما اشتهى هذه العتبات وساعدته على هضم وفهم مغزاه؛ وبالتالي فإنَّ قراءة المتن تَصيرُ مشروطة بقراءة هذه النصوص، فكما أننا لا نلجُ

فناء الدار قبل المرور بعتباتها فكذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته.

الـــتلـــقي والـــمنعطف الـــتاريخي لـــــ"كتاب الأمير":

يكتسب التلقي الأول لرواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج أهمية خاصة في سياق دراستنا لتاريخ تلقي هذا النص في النقد العربي المعاصر؛ ذلك لأنه أول لقاء بين النص ومُتلقيه، وهو أول اختبار لقيمته الجمالية، وأول تلّمس لطبيعته الفنيّة. وذلك بالمقارنة مع الأعمال التي سبق أن قرأها المتلقي وتمثّلها في أفق انتظاره.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح:-كيف يُمكننا تحديد النص أو معناه عبر التتابع التاريخي لتحقُّقاته أو تجسّداته؟

انطلاقاً من هذا التأسيس انصبَّ اهتمامي على استنطاق المتن القرائي النموذجي الذي يُشكِّل نمط التلقي في المرحلة التاريخية المحدّدة تمتد على مدى زمن ظهور المتن "كتاب الأمير" إلى اللحظة الراهنة.

كما أن الانتقال من نمط إلى آخر لا يحدث اعتباطاً أو دفعة واحدة، بل عادة يكون الانتقال نتيجة حتمية لمنعطف تاريخي يَمرُّ به مجتمع من المجتمعات، فيترك وراءه أثراً كبيراً في أنماط التلقي. لهذا فإنَّ تحديد الأفق الثقافي والمناخ التاريخي لكل نمط من أنماط التلقي مطلب ضروري للوقوف على خصوصية كل نمط من تلك الأنماط.

ومن ثمَّ سأحاول تتبُّع مختلف أشكال التفاعل بين النص الروائي "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج وقرائه المتعاقبين عبر سلسلة تاريخ تلقي هذا المتن منذ لحظة ظهوره حتى اللحظة الراهنة. والتي حاولت تقسيمها إلى ثلاثة أشكال والمتمثلة في: الإعلام، النقاد وأخيراً الدراسات الأكاديمية.

أ. الإعـــــلام:

1. "الأمير" قراءة العولمة الإنسانية، عدنان كزارة، الثورة يومية سياسية (تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحاف والطباعة)، بتاريخ: 03/ 06/ 2008.

2. رواية "الأمير"، أو الأدب التأريخي، واسيني الأعرج يكشف بعض أسرار مؤسس الدولة الجزائرية، رشدي رضوان، الفجر يومية جزائرية مستقلة، 03/ 05/ 2010.
3. واسيني الأعرج من الجزائر، في حوار مع الناقد الروائي كمال الرياحي من تونس، مجلة الرواية، الاثنين 7تشرين الثاني2011.
4. الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري في رواية للكاتب الجزائري واسيني الأعرج قراءة، منير عتيبة، العربي الحر.
5. السرد الإمبراطوري قراءة في رواية "الأمير" لواسيني الأعرج، اليامين بن تومي، مرسى الباحثين العرب، 23/ 03/ 2012.
6. واسيني الأعرج يكشف عن آخر رواياته "ظل الوردة"، ويتّهم: "بديعة الحسني تريد حصر الأمير عبد القادر في الفكر الوهابي"، زهية منصر، الشروق، السبت28/ 04/ 2012.
7. واسيني الأعرج يفوز بجائزة الأمير زايد للكتاب، زهية/الوكلات، الشروق، الأحد29افريل2012.

ب/ **الـــــنـــقـــــاد:**

- **المجلات والدوريات:**

1. المتخيل والتاريخ ومفارقات الهوية في كتاب الأمير لواسيني الأعرج، إدريس الخضراوي، مجلة النقد الأدبي فصول ع71/ صيف خريف2007.
2. الفضاء النصّي في رواية "كتاب الأمير" للأعرج واسيني، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع6، ط:2010.
3. الاستسلام والانهزامية في كتاب الأمير/ مسالك أبواب الحديد/ للكاتب واسيني الأعرج، منشورات مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، ع6، ط:2010.

4. سردية التاريخ في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، أ.حسيبة كشاط، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، ع6، نوفمبر2010، سكيكدة.
5. بنية "المناظرة" وإشكالية نفي "التنافي" في رواية "كتاب الأمير":مسالك أبواب الحديد" للروائي واسيني الأعرج، د. عثمان بدري، ملتقى القاهرة الدولي الخامس للإبداع الروائي العربي "الرواية العربية..إلى أين؟" الاثنين13ديسمبر2010.
6. الهوية وسلطة السرد في الرواية المحليّة، كتاب الأمير لواسيني الأعرج أنموذجا، الرواية بين ضفتي المتوسط، المجلس الأعلى للغة العربية، ط:2011.
7. تقنيات التضايف الأدبي والإيديولوجي في رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج، أ.محمد تحريشي، أ.أحمد مرين، مجلة بجامعة بشار22مارس2011.
8. الروائي التاريخي في كتاب الأمير لواسيني الأعرج "جدل الأنا وتحيين الآخر" أ/ د الطاهر روابنية، ملتقى الباحة الأدبي، ط:2011.
9. حقيقة الخيال وخيال الحقيقة من خلال الرواية الجزائرية المعاصرة دراسة في الحدود الفاصلة بين الواقع الخيالي والتاريخ الحقيقي في رواية الأمير لواسيني الأعرج، د.عبد العزيز شويط، جامعة جيجل، الملتقى الوطني: الرواية الجزائرية والتاريخ، جامعة 20اوت1955سكيكدة، الاثنين09أفريل2012.
10.سؤال الواقع والتاريخ في رواية الأمير، أ/ عادل بوفناز سكيكدة، الجلسة العلمية الرابعة برئاسة عبد الحميد هيمة، الساعة11 يوم الثلاثاء 10أفريل2012، ملتقى سكيكدة.
11.تمظهر التاريخ في الرواية الجزائرية: الأمير لواسيني الأعرج أنموذجا، أ/ عائشة ولجي، ملتقى سكيكدة، 10أفريل2012.

12. قراءة أولى في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، أ.عثمان بدري، (بدون طبعة).

- **الـــمقـــالات الالكترونية:**

1. سيرة الأمير عبد القادر في كتاب الأمير.مسالك أبواب الحديد. لواسيني الأعرج، ميلاد فايزة أمريكا، الاثنين 17سبتمبر2007، www.jozoor.net/main/modules.php
2. أحمد بوحسن، الروائي والتاريخي في رواية "كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد" الخميس15نوفمبر2007، www.ribatalkoutoub.ma/index.php
3. عندما تطمح الرواية في أن تكون بديلاً للتاريخ، د.حبيب مونسي، الأحد15نوفمبر2009، انفاست، www.jozoor.net/main/modules.php
4. عبد القادر الجزائري وإشكالية الآخر في كتاب الأمير لواسيني الأعرج، د/ ماجدة حمود، مجلة ثقافية وأسبوعية،www.thakafamag.com

- **ج/ الـــرسائل الجامعية:**

1. فنيات السرد في رواية كتاب الأمير لواسيني الأعرج، عجيري وهيبة،ماجستير 2007/ 2008.

2.عتبات كتاب الأمير:مسالك أبواب الحديد لواسيني الأعرج: مقاربة عنوانية، كريمة نورة أيوب،إشراف عبد الحميد بورايو، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:2008/ 2009.

1. العلاقات عبر النصية (المناص والتعلق النصي) في رواية: كتاب الأمير:مسالك أبواب الحديد أنموذجا، بشيرة لخضاري، إشراف: عبد القادر بوزيدة، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:2009/ 2010.

2. هندسة الفضاء في رواية الأمير لواسيني الأعرج، فضيلة بولجمر، إشراف يحي الشيخ صالح، جامعة منتوري قسنطينة، قسم اللغة العربية وآدابها،السنة الجامعية:2009/ 2010.

2. تخيّـــب أفــق الانـتـظـــار (التلقي الاستبعادي للرواية):

ما عادت المعايير المقبولة في التلقي الشكلي صالحة، ومَا عَاد الفهم الذي شكلّه هذا التلقي لرواية كتاب الأمير مقبولاً، حيث بدأ مناخ التلقي الداخلي يتعرّض للتغيير، ولم يحدث كل ذلك فجأة واحدة. فقد كانت القراءات الداخلية للرواية تُمهّدُ الطريق لفهم الرواية من عدّة زوايا والتطلّع إلى آفاق أخرى ممّا أدى إلى تشكلّ مسارات التلقي الداخلي للرواية.

- **تصنيع الرواية وتعارضات الآفاق**

حين يتعلّق الأمر بقراءة من القراءات فإنه من الأهمية أن ننظر إليها بوصفها شكلاً ممكناً من أشكال الفهم، بمعنى أنها عملية مهمة لتحقيق وجود العمل الأدبي، لكنها تبقى، مع أهميتها، تحقّقاً محتملاً من بين عدّة تحقّقات.

وما دام الأمر يتعلّق بتحقّق محتمل فإن المجال يظّل مفتوحاً لتحقّقات أخرى عديدة؛ إذ لا شيء يمكن فهمه بجميع وجوهه. فإنّ خروج الروائي "واسيني الأعرج" عن مجرى العادة والمألوف في التعبير عن النموذج الروائي يخلق مسافة جمالية بين النص ومتلقيه، بحيث يستفزّ المتلقي ليشاركه في الحالة الشعورية من خلال هذه العبارات التي تكسر التوقع، والتي تحمل في طيّاتها دعوة إلى الفعل وترسيخاً لإرادة الإنسان واستثارة لقدراته على التأثير في تغيير الواقع بدعوة إلى التسامح وحوار الحضارات.

وقد تُسهم طاقة التوتر الكامنة في جدلية الحقيقة والخيال في خلق مسافة جدلية تمنح النص حيويته، وتجعل من التجربة موضوعاً جمالياً يقتضي التأمل والتأويل.

فتبدو الملاحظة التي أثارتها بديعة الحسني حفيدة الأمير في مقالتها وجيهةً، لأنها تتساءل عن قيمة العمل الفنّي ذي الأسلوب الجديد، والتقنية الحديثة، هذه القيمة التي تتحدّد بالضرورة بالجمهور القارئ.

إلاّ أنّنا نجد السيّدة "بديعة الحسني" تصرّح في جريدة جزايرس بخصوص رواية واسيني مُعلنة بأن رواية "كتاب الأمير" للكاتب واسيني الأعرج تحدّثت عن جدّها "وكأنه تمثال حجري نحته الأعرج كما يُحب"، مُضيفة أن "الأمير عبد القادر الجزائري شخصية عالمية لا تحتمل مُعالجتها بطرق فنيّة وروائية تُخالف الوقائع"[15].

3.**تغيير أفق الانتظار وإعادة بنائه**

إعادة تصنيع الرواية:

عادةً ما تكون إعادة الاعتبار التي يُحظى بها نص من النصوص، نتيجة من نتائج إعادة تصنيفه، أو إعادة تأويله، وذلك أكثر مما هي اكتشاف جديد له بالدرجة الأولى.

هذا ما حدث مع رواية "كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد" في التلقي العربي منذ أن تُوِّج هذا النص بجائزة الشيخ زايد للآداب، حتى رأيت تلك الرواية تَعود إلى أضواء الاهتمام من جديد.

فقد تمَّ إعادة تصنيفها بضرب من إعادة التأويل.

فإذا كان التلقي الاستبعادي لرواية "كتاب الأمير" قد نَبذ الرواية لأنها كسرت أفق انتظاره بالدرجة الأولى، وهو ما ولَّد قرّاء جُدّدا رغبة شديدة في تجاوز الأبعاد التي وقف عليها ذلك المتلقي.

وهذا ما يجعل ازدياد كبير في تقدير فاعلية دور القراءة والتلقي في عملية فهم النص واكتشافه وإنتاجه وتشكيله وتصنيفه.

إنّ الجهد القرائي الذي يبذله د. إدريس الخضراوي*** –أنموذجا للقراءة– في قراءة الرواية قد مكّنه من تصحيح الرؤية وإعادة ضبط منطلقاتها ومساراتها وممارساتها من خلال مداخلة قدّمها بمجلة فصول الموسومة بـــ: المتخيّل والتاريخ ومفارقات الهوية في كتاب الأمير لواسيني الأعرج[16].

قراءة يطمح من خلالها إلى تقديم فهم مقوِّمات البناء السردي والتخيّيلي وتداخل المرجعيات في هذه الرواية، وإضافة المرتكزات التاريخية الذي يقوم الروائي بتحبيكها، ويُقدّم من خلالها سرديات متعدّدة لهويات متنابذة ومتصارعة.

- **البناء السردي وتداخل المرجعيات:**

أ. **التركيب السردي**:

تنفرد رواية "كتاب الأمير" ببناء سردي مميّز يجعلها تعبيراً عن مغامرة روائية خلاقة. ويُطالعنا العنوان بوصفه مُقوّماً مركزياً من مقوّمات هذا البناء؛ بالإضافة إلى أن أهمية هذه الرواية لا تكمن في الإخبار عن مرحلة تاريخية حديثة تحفظ ملامحها وثائق التاريخ، وإنما في استقصاء بياضاتها المتعددة التي لم تتمكّن وثائق التاريخ من تكميلها وإنطاقها؛ ومساءلة ما هو كامن خلفها من معاناة وآلام وأشجان، وطموح إلى عيش مشترك ينقض عالماً قوامه الحرب والسطوة والتنافر.

ومن حيث البناء الروائي، فرواية "كتاب الأمير" لا تأخذ شكلاً انسيابياً، وإنما هي عبارة عن أبواب ثلاثة تتخللها وقفات متنوعة تتداخل فيما بينها بشكل يُميّز الرواية ويُعطيها فرادتها على مستوى السرد.

لعلّ من مظاهر هذا البناء، الانفتاح على أجناس أدبية تُخصِّب متخيّل الرواية وتعمّق من أبعاده ودلالاته، كالسيرة الذاتية المتعلِّقة بالأمير والتي تجري كتابتها داخل قصر أمبواز، وكذلك جنس الرسالة: سواء تلك التي يكتبها مونسينيور ديبوش، ويعتمد في بنائها على ما تحصّل له من تقصي الحقبة التاريخية المعيّنة.

كما يتصوّر الناقد "إدريس الخضراوي" أن الرواية حين تنفتح نافذة للتناظر والحوار حول الكثير من المواقف التي اتخذها الأمير لحظتي الهدنة والحرب مع الاحتلال الفرنسي، إنما تؤكد على مستوى القراءة، على أهمية التجربة الروائية لمؤلفها.

فواسيني الأعرج وهو يكتب عن شخصية الأمير لا يُقدِّمها نموذجاً إنسانيا متعالياً، الأمر الذي يقود تحنيطه ويُفقده أهميته السردية، وإنما يُشّخص مزياته

وعيوبه، فيُقدّمه إنسانا عادياً يتفاعل مع ما يتفاعل معه البشر من مواقف وأحداث.

إنّ الصلة بين السرد والاستذكار والبحث والاكتشاف والتناظر، جعلت التركيب السردي في هذه الرواية قائماً على تهجين الكثير من اللغات في داخلها، فهي تداخل بين العامي والفصيح في مقامات تخاطبية متعدّدة، وتفتح صدرها للذاكرة الشعبية من خلال أمثالها وأساطيرها ومحكياتها الخرافية المتنوّعة، خاصة ما له علاقة بشخصية الأمير.

كما تُداخل الرواية كذلك بين اللغة العربية واللغة الفرنسية، وبين اللغة الإخبارية المعبّرة عن واقع متحوّل وقاس واللغة الشعرية الانسيابية الصادرة عن العالم الداخلي للشخصية التي تُناجي أحوالها، كما تستدعي اللغة الصوفية وتُوظّفها للتعبير عن الانفعالات العميقة للشخصيات التي تشعر أنها تتعرّض للقهر والظلم.

ب/ **السرد، الرؤيا وصورة البطل**:

تُفيد رواية "كتاب الأمير" من مكوّن العجائبي باعتباره خطاباً يبعث على الحيرة والتردد في توصيف القوة الذاتية والروحية للأمير عبد القادر الجزائري ومصدر هذا العجائبي هو الحقل الديني الذي يُعاضد رغبة الجماعة وراويها في الإعلاء من شأن الأمير.

ورُبما لأجل ذلك لا تنهض الرواية على سارد واحد بعينه، وإنما على محافل سردية متعددة ومتنوعة بعضها داخلي وبعضها خارجي؛ الشيء الذي يسمح للروائي بإقامة حوار من داخل الرواية بين الذات والآخر، بين الثقافة العربية ومرجعيتها الروحية وبين الثقافة الغربية وإرثها الروحي كذلك، إن هذا الاختلاف في المواقع والرؤى هو الذي أعطى للمتن الحكائي تميّزاً خاصاً في صياغته المتقاطعة والمتوازية.

ورواية "كتاب الأمير" لا يتقصد منها فقط إدهاش القارئ من خلال العجائبي الذي يؤثثها، وإنما ترمي كذلك إلى كشف مضمون المعتقد الشعبي حول الشخصيات الدينية والصوفية[15].

وإذا كانت رواية "واسيني الأعرج" تستعيد تاريخ أمة رأت في الأمير عبد القادر بطلاً مُخلصاً، فإنها في استعادتها لذلك التاريخ لا تعطفه على ماض ترى فيه انتصارات أصيلة، وإنما تشرطه بسياقات الحاضر؛ تلك السياقات التي لم يكن البطل/ الأمير نفسه يتجاوزها على الرغم من مرجعيته الصوفية والدينية، وبالتالي يكون إنجاز واسيني الأعرج في هذه الرواية ماثلاً في التقائه بالمؤرخ حين يُحيل إلى وثائق مختلفة.

لذلك كانت روايته نصاً مفتوحاً على تعددية الأسئلة والمواقف والرؤى، تقول ما يتجنّب مؤرخو السلطة قوله، وتتطلّع إلى ملامسة ما يودّ الروائي قوله في هذا الموضوع الطافح بالتاريخ.

والتاريخ الذي يُحاكيه الروائي ويُعيد تمثيله مفيداً من ظلال المتخيّل، يستنطق سياقين ثقافيين على طرفي نقيض.

غير أنها وهي تبني هذه الهوية السردية مستعينة بالتخييل بما هو نمط من المعرفة، تُحاور هويات عديدة، وتُضفي المشروعية على وجهات نظر مختلفة، بما يجعل الرواية إسهاما متميّزاً في قراءة نسق السلطة في الراهن العربي في تحوّلاته وتغيّراته وتبدلاته.

خلاصة:

ومن خلال هذه الدراسة المتواضعة، تمَّ التوصّل إلى مجموعة من النتائج الآتي ذكرها:

- زعزعت جمالية التلقي التقليد السائد الذي كان يتعامل مع النص بوصفه قاعدة ثابتة للتأويل، وانزاحت عن المفاهيم التأويلية القديمة واضعة القارئ في مركز مشروعها التأويلي وموكّدة عدم الفصل بين النص المقروء وتاريخ تلقيه.

- إنّ رواية "كتاب الأمير" لواسيني الأعرج التي ملأت أفق الانتظار أرضت حاجات المتلقين الأوائل لجيّد الكلام، كان فيها ما وافق انتظارهم وخيّب أفقهم وهذا ما تفاعلوا معه أكثر، واستدعاهم للتأويل والتعمّق في المعاني وتدقيق الدلالات.
- كما أن اعتمادنا على القراءة النقدية مكنّنا من إبراز الامتدادات غير المتناهية للنص في الموسوعة الثقافية، ومن إنتاج قراءة مُنفتحة ومُنتجة تصل بشكل منهجي بين النصّي والخارج نصّي.
-

الهـــــوامـــش:

* هانس روبرت ياوس (Hans Robert JAUSS) باحث ومنظّر وناقد ألماني معاصر ولد سنة 1921، تخصَّص في نظرية التلقي، أثبت دور المتلقي في العملية التواصلية،شغل منصب أستاذ محاضر بجامعة كونستانس، ويعتبر من الأعضاء البارزين في مدرسة كونستانس، من مؤلفاته "من أجل علم التأويل الأدبي".

1. ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر، ط1: 1997، ص:121

2. عبد الناصر حسن محمد، نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري، ط:1999، ص:99

3. فولفغانغ إيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، تر حميد لحمداني، الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل فاس المغرب، ط: 1987 ، ص:11

Hans Robert JAUS,"pour une esthétique de la réception",

trad. : CLAUDE MAILLARED, Ed tel 2 Gallimard, paris, 1978, P : 50

5. عبد الله محمد الغذامي، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2: 2005، ص: 148

Wolfgang ISER, l'acte de lecture, théorie de l'effet esthétique,

TRAD, par EVELYNE SZNYCER, ED. pierre MARDAGA, 1985 p : 61

7. محمد عزام، النقد بين النص والمتلقي، مجلة بحوث سيميائية، جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان،

ع 3و4 جوان ديسمبر2007، ص:310-315

Hans Robert JAUSS, "pour une esthétique de la réception", p : 81- 8

9 Ibid, p : 53

Ibid, p : 54

11 هانس روبرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة ، ط1: 2004، ص: 45

Hans Robert JAUSS, "pour une esthétique de la réception", p : 54

Ibid, p : 56

14 يُنظر، محمد حمود، القراءة المنهجية للنصوص، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1: 1998،

15 الحفيدة بديعة الجزائري: نَفَت أن يكون جدّها ماسُونياً، جريدة جزايرس، الحوار: 04/ 11/ 2008

** د. إدريس الخضراوي: ناقد مغربي

16 إدريس الخضراوي، المتخيّل ومفارقات الهوية في كتاب الأمير لواسيني الأعرج، مجلة النقد الأدبي فصول، ع71/ صيف خريف 2007

17 إدريس الخضراوي، المتخيّل ومفارقات الهوية في كتاب الأمير لواسيني الأعرج، ص:257